مقتطفات من كتاب
الصديقة بنت الصديق
عباس العقاد

حدوتة كتاب

إليك لأنك تعرف لماذا!!!؟

كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com

فالعرب لم يضربوا اللعنة قط على المرأة فى جاهليتهم الأولى ، لأن اللعنة التى ضربت على المرأة فى القرون الأولى ، وامتدّت إلى القرون الوسطى ، إنما جاءت من الإيمان بالخطيئة التى انحدرت بآدم وحواء من نعيم الفردوس ، وأصبحت المرأة ملعونةً موصومة بالنجاسة والشرّ عند بعض الناس ، لأنهم ألقَوْا عليها تبعة الشهوات التى تثيرها فيهم وجعلوها حبالةً للشيطان ، مذ كانوا يحسّون بغوايته الخفية كلما أحسّوا بغواية الشهوة الحيوانية ، ومناطها المرأة قبل غيرها من هذه الأحياء .

فالعرب لم ينظروا قطّ إلى المرأة هذه النظرة ، ولم يحكموا عليها قطّ بالنجاسة والأصالة فى الشرّ والخباثة ، لأنهم لم يعرفوا الخطيئة بهذا المعنى فى عهد الجاهلية

دخل علىّ يومًا رسول الله ﷺ فقلت : أين كنت منذ اليوم ؟

قال : ياحميراء ، كنت عند أم سلمة .

قلت : ماتشبع من أم سلمة ؟

فتبسم . ثم قالت : يارسول الله ألا تخبرنى عنك لو أنك نزلت بعدوتين إحداهما لم ترع والأخرى قد رعيت أيهما كنت ترعى ؟

قال : التى ترع !

قلت : فأنا ليس كأحد من نسائك . كل امرأة من نسائك قد كانت عند رجل ، غيرى . . .

فتبسم عليه السلام .

فإذا عرضت مناسبة للسن فليس أحب إليها من أن تقول : وكنت جارية حديثة السن ، أو حدث ذلك لجهلى وصغر سنى ، وربما راقها أن تختار من الروايات التى ذكروها لها عن سنها أقرب تلك الروايات إلى التصغير وأولاها أن تميزها بين زميلاتها بميزة الشباب .

ومن المتفق عليه أنها كانت امرأة ذكية ، أسلمت وهاجرت ولَقِيَتْ عنتًا شديدًا ، فى سبيل دينها وزوجها ، ويُروَى عن النبى عليه السلام أنه قال : « مَنْ سَرَّه أن ينظرَ إلى امرأةٍ من الحُور العين فلْيَنْظُرْ إلى أم رُومان » .

وتوسلن بالسيدة فاطمة رضى الله عنها لما يعلمن من قبول أبيها لكل شفاعة تأتيه منها ، فقالت له : « إنّ نساءَك يَنْشُدْنَكَ اللهَ العدلَ فى بنت أبى بكر . قال لها : يابُنَيَّه ! ألا تُحبِّين ما أحبُّ ؟ قالت : بلَى . قال : فأحبى هذه » . . .

يشير إلى عائشة .

فمن ذلك مثلاً أن الحرب نَشِبَتْ بين بنى بكر وبنى تغلب أربعين سنة ، لأن البَسُوسَ ابنة مَنقذ أضافت رجلاً ، فضرب كُلَيْب ناقة ذلك الرجل ، وهو فى ضيافة البسوس ، فأقسم ابن أختها جَسّاس لها « ليُقْتَلَنَّ غَدًا جَمَلٌ هو أعظمُ عقرًا من ناقة جارك » ، وقَتَلَ كليبًا سيد بنى تغلب فى ثأر تلك الناقة ، أو من أجل كرامة امرأة فى ناقة جارها

ففى الأحاديث عن عائشة أنها قالت : «كان بينى وبين رسول الله ﷺ كلام فقال : من ترضَيْنَ أن يكون بينى وبينك ؟ أترضين بأبى عبيدة بن الجراح ؟ قلت : لا . ذلك رجل هيِّن ليِّن يقضى لك . قال : أترضَيْن بأبيك ؟ قلت : نعم فأرسل إلى أبى بكر فجاء ، فقال : اقصصى ! فقلت : بل اقصص أنت . . فقال : هى كذا وكذا . . . فقلت : أقصد ! فرفع أبو بكر يده فلطمنى وقال : تقولين يابنت أم رومان : أقصد ؟ من يقصد إذا لم يقصد رسول الله ؟ فجعل الدم يسيل من أنفى ، وقال رسول الله ﷺ إنا لم نُرِدْ هذا . . وجعل يغسل الدم بيده من ثيابى ، ويقول : رأيتِ كيفَ أبعدك الله منه . . » .

وقد يفترق القلبان فى لحظة من اللحظات ، لأنهما مقتربان أشد اقتراب .

وهذا الذى حدث عند مولد إبراهيم من مارية القبطية ، وهى فَتيّة جميلة رضيّة ، يدنيها من قلب النبى شتى المزايا ، وأولاها هذه المزية التى تربى على كل مزية .

فلما رأت عائشة فَرَح النبىّ بالوليد المرموق ، وأحسّت شغف النبى به جاهدت نفسها أن تغالب غيرتها فلم تَقو على هذه المغالبة ، وقال لها يومًا : انظرى إلى شبهه ! فلم تملك لسانها أن تقول : ما أرى شيئًا . وربما أعجبه نموّ الوليد ، ولفتها إلى

وقد تكون وحدها فى بيتها فتعجبها ثيابها وتحب أن تنظر إليها . قالت : « ولبست ثيابى فطفقت أنظر إلى ذيلى وأنا أمشى فى البيت وألتفت إلى ثيابى وذيلى . فدخل علىّ أبو بكر فقال : عائشة ! أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن ؟ قلت : ولمَ ذاك ؟ قال : أما علمت أن العبدَ إذا دخله العُجْبُ بزينة الدنيا مَقَته ربه عز وجل حتى يفارق تلك الزينة ؟ فنزَعْته فتصدَّقت به ، قال أبوبكر : عسى ذلك أن يكفِّر عنك » .

نعم إنه عليه السلام قال لعائشة يومًا : «أريتك فى المنام مرتين ، أرى أنك فى سَرَقَة من حرير ، ويقال : هذه امرأتك ! فأكشف عنها فإنما هى أنت فأقول : إن يَكُ هذا من عند الله يُمْضِه » .

حدث مسروق الهمدانى قال : « دخلت على عائشة وعندها حسان وهو يرثى بنتًا له ويقول :

رَزَانٌ حَصَانٌ مَاتُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لست كذلك . فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عز وجل : ﴿وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ له عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، فقالت : أما تراه فى عذاب عظيم ؟ قد ذهب بصره .

وهذا لأن حسان بن ثابت كان ممن نسب إليه شعر فى مسألة الإفك لا يرضى السيدة عائشة .

على أنها قبلت عذره ، كما جاء فى رواية أخرى ، ونَهَتْ عن شتمه وذلك فيما رواه يوسف بن ماهك عن أمه حيث تقول : كنت أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرت حسان فسببته ، فقالت : بئس ماقلت ! أتسبِّينه وهو الذى يقول :

فَإِنَّ أَبِى وَوَالِدَهُ وَعِرْضِى لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

وهى القائلة بعد وفاة النبى فى مزاياها التى اختصت بها دون أترابها : «فضلت على نساء النبى ﷺ بعشر ! لم ينكح بكرًا قط غيرى ، ولا امرأة أبواها مهاجران غيرى ، وأنزل الله براءتى من السماء ، وجاء جبريل بصورتى من السماء فى حريرة ، وكنت أغتسل أنا وهو فى إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيرى ، وكان يصلى وأنا معترضة بين يديه دون غيرى ، وكان ينزل عليه الوحى وهو معى ولم ينزل وهو مع غيرى ، وقبض وهو بين سحرى ونحرى ، وفى الليلة التى كان الدور علىّ فيها ودفن فى بيتى » .

وظهر ألمها هذا حين قالت للنبى وهى حزينة كاسفة : كل صواحبى لهن كنى ! . . قال فاكتنى بابنك عبد الله ! يشير إلى عبد الله بن الزبير ابن أختها أسماء . . فجعلت تكتنى به وتحبه ذلك الحب الأموى الذى يستمد القوة من الحنو والشوق والحرمان .

وأنه لم يمنع هذه الحياة الزوجية أن تكون قدوة للمقتدين فى العطف وأدب المعاشرة . وكانت هى العروة الوثقى كما وصفها النبى عليه السلام . فإذا سألته السيدة عائشة بين الفينة والفينة مدلة بمكانها عنده وعطفه عليها : كيف حال العروة يا رسول الله ؟ قال : على عهدها لا تتغير .

وكان صفوان بن المعطل على ساقة الجيش يتخلف عنه ليلتقط ما يسقط من المتاع . وربما كان النبى عليه السلام يعهد إليه فى ذلك ، لأنه كان ثقيل النوم فلا يستيقظ حتى يأخذ الجيش فى المسير ؛ وقد شكته امرأته إلى النبى لأنه ينام ولا يصلى الصبح قبل طلوع الشمس .

فكان عليه السلام يعلم ذلك منه ويقول له : إذا استيقظت فَصَلِّ !

وأصوب ما قيل فى هذا المعنى مقال ذلك الفتى السعدى الذى تَصَدَّى للزبير وطلحة فقال لهما : أما أنت يا زبير فحوارىّ رسول الله ، وأما أنت يا طلحة فوقيت رسول الله بيدك ، وأرى أم المؤمنين معكما فهل جئتما بنسائكما .

نعم لقد أصاب ذلك الفتى من بنى سعد حين أقام الحجة عليهما بهذا السؤال الذى يغنى عن كل جواب . فما من أحد يلومهما أن يوافقا السيدة عائشة فى الرأى أو توافقهما فيه ، وإنما الملام الذى لا محيص عنه أن يتجاوزا النداء برأيها إلى الخروج بها فى حومة قتال . وهما لم يخرجا إليها بالمحارم والأزواج .

ولكننا إذا ذكرنا هذا كان علينا أن نذكر معه أن السيدة عائشة ندمت على موقفها من يوم الجمل أشدّ ندامة ، فكانت تقول بقية حياتها : ليتنى مت قبل يوم الجمل ، وقالت مرة : ليت كان لى من رسول الله ﷺ بنون عشرة وثكلتهم ولم يكن يوم الجمل . وكانت كلما خاض الناس فى حديث ذلك اليوم تبكى حتى تبل خمارها .

وعلينا أن نذكر أنها صانت خصومتها عن كل كلمة نابية فى حق علىّ رضى الله عنه ، فلم تتهمه بدم عثمان ولم تتجاوز بالتهمة بعض من بايعوه ، وقالت عنه غير مرة إنه الصوام القوام ، وإنه أحب الناس إلى رسول الله .

سبحانك اللهم وبحمدك
نشهد أن لا إله إلا أنت
نستغفرك ونتوب إليك

إلى لقاء مع ملخص لكتاب جديد